

الخوف

ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الخوف ، محمد صالح المنجد - الخبر - ١٤٣٠ هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ١-٠٧-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الخوف ٢- العقيدة الإسلامية أ.العنوان

١٤٣٠/٢٠٧٥

ديوي : ٢٤٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ : ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ : ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة: ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

مَجْمُوعَةُ الزَّادِ
مَجْمُوعَةُ الزَّادِ

الخوف



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الخوف من الله تعالى سمة المؤمنين، وآية المتقين، وديدن العارفين، خوف الله تعالى في الدنيا طريقٌ للأمن في الآخرة، وسببٌ للسعادة في الدارين، ودليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وصفاء القلب، وطهارة النفس.

وستتطرق في هذا الكتيب لبيان معنى الخوف، وأهميته، والفرق بينه وبين الخشية، ثم نذكر شيئاً من ثمراته العاجلة والآجلة، والأسباب الجالبة له.

وهي الرسالة **الرابعة** ضمن سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية، وشاركني في إعدادها الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منه خائفين، وله راجين، ولرحمته
وعطائه مؤملين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد صالح المنجد

أهمية الموضوع

للخوف أهمية خاصة في شريعة الإسلام؛ لأنه يدفع الناس إلى الأعمال الصالحة، ويبيدهم عن الوقوع في الأفعال الفاجرة. كما أن الخوف هو طريق القرب من الله تعالى، وهو سبيل المؤمنين العارفين بالله الذين يريدون الآخرة ويعملون لها. قال أبو حفص -رحمه الله-: (والخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله **عز وجل**، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه) ^(١).

وقد امتدح الله أهل الخوف في كتابه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ۝٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٣).

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ»^(١).

قال الحسن - رحمه الله -: (عملوا - والله - بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا!)^(٢). أي: إساءة في العمل وأمنًا من عذاب الله!.

وما فارق الخوف قلباً إلا خرب، فإذا سكن الخوف القلوبَ أحرقت مواضع الشهوات فيها، وطرد عنها إيثار الدنيا.

فكم أطلق الخوف من سجين في لذته كانت قد استحكمت عليه سكرته! وكم فك من أسير للهوى ضاعت فيه همته! وكم غافل التحف بلحاف شهوته! وكم من عاق لوالديه رده الخوف عن معصيته! وكم من فاجر في لهوه قد أيقظه الخوف

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) مدارج السالكين (١/٥١٢).

من رقدته! وكم من عابدٍ لله قد بكى من خشيته! وكم من مسافر إلى الله رافقه الخوف في رحلته! وكم من محبِّ لله ارتوت الأرض من دمعه!.

فله ما أعظم الخوف لمن عرف عظيم منزلته.

والخوف ليس مقصوداً لذاته، فليس المقصود أن نخاف لأجل أن نخاف، بل ليكون الخوف وسيلة تصلح أحوالنا.

ولو كان الخوف مقصوداً لذاته لما ذهب عن أهل الجنة!!، لكن لما كان دخول أهل الجنة الجنةً نهايةً لما طُلب منهم، وليس فيها عمل ولا مجاهدة للنفس في العبادات ومقاومة للهوى والشهوات؛ لم يكن في تلك الدار خوف، قال تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

ومن خاف اليوم أمنَ غداً، ومن أمن اليوم خاف غداً.

قال ابن رجب-رحمه الله-: (والله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه، ونصب الأدلة الدالة على عظمتهم وكبريائهم ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه

ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال^(١).

ولذلك كرر الله سبحانه وتعالى ذكر النار، وما أعده الله فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلى غير ذلك مما فيه من العظائم والأهوال.

ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه، والمسارة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه؛ وجد من ذلك العجب العجاب، وكذلك السنة الصحيحة المفسرة للقرآن، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات، وأن ذلك هو الذي رَقَّاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السامية، من شدة الاجتهاد في الطاعة والكف عن دقائق الأعمال المكروهة فضلاً عن المحرمة.

(١) التخويف من النار (٥).

تعريف الخوف

الخوف في لغة العرب:

مأخوذ من مادة (خ و ف) التي تدل على الذعر والفرع. يقال: خافه، يخافه، خوفاً، وخيفاً، ومخافة، والأمر منه: خَفٌ. ومنه: التخويف، والإخافة، والتخوف. والنعت: خائفٌ، وهو الرجل الفزع.

وخَوْفَ الرجل: جعل الناس يخافونه، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي: يجعلكم تخافون أوليائه، وقال ثعلب معناه: يخوّفكم بأوليائه. وطريق مَخَوْفٌ ومُخِيفٌ: تخافه الناس^(١).

وقوم خَوْفٌ، أي: خائفون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦] أي: خائفين عذابه، طامعين في ثوابه^(٢).

(١) لسان العرب (٩/٩٩-١٠٠).

(٢) تاج العروس، مادة (خوف).

والخوف في الاصطلاح:

هو توقع حلول مكروهٍ أو فواتٍ محبوبٍ لعلامة مظنونة أو معلومة.

أو هو اضطراب القلب وحركته وفزعه من مكروه يناله أو محبوب يفوته.

وهو ضد الأمن. ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية.

قال ابن قدامة رحمه الله: (اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال.

مثال ذلك: من جنى على ملكٍ جنائياً ثم وقع في يده، فهو يخاف القتل ويُجوز العفو، ولكن يكون تألم قلبه بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله، وتفاحش جنائته وتأثيرها عند الملك، وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جنائية بل عن صفة المخوف وعظمتها وجلالته، إذ قد علم أن الله سبحانه لو أهلك العالمين لم يبالي ولم يمنعه مانع، فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه وبجلال الله واستغنائها، وأنه لا يسأل عما يفعل؛ يكون خوفه)^(١).

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/٦٢).

معاني الخوف في القرآن

وردت كلمة الخوف في القرآن مشاراً بها إلى عدة معانٍ مما يحصل بسببها الخوف ومن ذلك:

١- القتل أو الموت: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

٢- القتال: قال جل جلاله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب: ١٩].

٣- توقع حصول أمر غير مرغوب فيه: قال تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مَّوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾ [البقرة: ١٨٢] أي: علم.

وقال: ﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أي: يعلما.

وقال: ﴿ وَإِن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ ﴾ [النساء: ٣] أي: علمتم.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء: ١٢٨].

٤- النَّقْصُ: قال عز شأنه: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧].

٥- الخشية من العذاب والعقوبة: قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرحه لصحيح البخاري: (باب: الخوف من الله **عَزَّ وَجَلَّ**)^(١).

قال ابن حجر رحمه الله: (قوله: "باب الخوف من الله **عَزَّ وَجَلَّ**" هو من المقامات العليّة، وهو من لوازم الإيثار).

قال الله تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(١) صحيح البخاري (٥/٢٣٧٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَأَتَّقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ»^(١).

وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه.

وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]، والأنبياء بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رَسَلَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾^(٢) [الأحزاب: ٣٩].

(١) رواه مسلم (١١٠٨).

(٢) فتح الباري (١١/٣١٣).

الفرق بين الخوف والخشية

الخوف والخشية لفظتان متقاربتان، وبينهما خلاف بسيط في المعنى، فالخوف هو الفرع من أي شيء، أما الخشية فهي الخوف والفرع من الشيء المعظم.

قال المناوي: (الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون على علم بما يخشى منه، ولذلك خص بها العلماء)^(١).

وقال الزبيدي-رحمه الله-: (الخشية: خوف يشوبه تعظيم)^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (الخشية: خوفٌ مبنيٌّ على العلم بعظمة من يُخشى وكمال سلطانه).

فعلى هذا تكون الخشية أخص من الخوف من ناحية الشيء الذي يُخاف منه؛ لأنه لا بد أن يكون معظماً.

(١) التعاريف (٣١٤).

(٢) تاج العروس (١/٤٥).

وأيضاً فالخشية أخص من جهة مَنْ تقع الخشية منه، حيث إن الخشية مخصوصة بالعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، أي: خوفاً مقروناً بمعرفة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتَقَاكُمُ اللَّهُ وَأَخْشَاكُمُ لَهُ»^(١)؛ لأنه إمام العالمين والعارفين.

وقال ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ مُجَارُونَ إِلَى اللَّهِ»^(٢).

فعلقت كثرة البكاء وقلة الضحك الدالة على الخوف والخشية بالعلم.

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء والعارفين، وعلى حسب قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية.

(١) رواه مسلم (١١٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٠٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وجوب الخوف

الخوف من الله سبحانه وتعالى واجب من أهم الواجبات الشرعية، ومن أعظمها؛ لما يترتب عليه من الآثار المهمة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (منزلة الخوف هي من أجل منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد)^(١).

قال ابن الوزير -رحمه الله-: (أما الأمان فلا سبيل إليه، والخوف هو شعار الصالحين).

ووجوب الخوف دل عليه أدلة من القرآن والسنة، منها:

الأمر بالخوف الله سبحانه تعالى:

قال تعالى: ﴿وإِتَى فَأَرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] فهذا أمر برهبته، والأمر يقتضي الوجوب.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة:

٤٤].

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١١).

قال السعدي-رحمه الله-: (أمر الله بخشيته التي هي رأس كل خير، فمن لم يخش الله لم ينكف عن معصيته، ولم يمتثل أمره).

جعل الخوف شرطاً من شروط الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وفي هذه الآية: وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان؛ فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله)^(١).

وصف الرسل بأن مهمتهم الإنذار والتخويف:

الإنذار في لغة العرب: الإعلام بالشيء الذي يخيف، قال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-: (الإنذار إخبار فيه تخويف، كما أن التبشير إخبار فيه سرور)^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/١٥٧).

(٢) المفردات (مادة: نذر).

وقد جاءت آيات من القرآن واصفة الرسل بأنهم منذرون،
ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٨].

كما أن الله ﷻ أمر النبي ﷺ بالإنذار، فقال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: « يَا
بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ » لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل
الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء
أبو لهب وقريش فقال: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي
تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ ». قالوا: نعم، ما جربنا
عليك إلا صدقا. قال: « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ »^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ [الحجر:

. [٨٩]

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨).

وقال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾
[الذاريات: ٥٠].

وكان من أوائل أوامره تعالى لرسوله ﷺ الإنذار: ﴿يَأْتِيهَا
الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُرْآنًا نَّذِيرٌ﴾ [المدثر: ١-٢].

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير الآية: (خَوْفُ أَهْلِ
مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا)^(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «مَثَلِي وَمَثَلُ
مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِينِيَّ،
وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْجَاءَ النَّجَاءُ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَذْجُوا
عَلَى مَهْلِهِمْ فَجَنَوا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَا حُهُمْ»^(٢).

والنذير العريان: أصله أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسرّوه،
فانقلب إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش وسلبوني، فأوه عرياناً
فتحققوا بصدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة،
ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٦١).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٢) ومسلم (٢٢٨٣).

وقد كان العرب إذا رأى أحدهم جيشاً يغير على قبيلته قد اقترب وهو في الخارج ولا تدري قبيلته جاء يركض ويخلع ثيابه وهو يصرخ حتى يبين لهم هول المصيبة التي ستزل بهم وفداحة الخطر، وهذه أشد أنواع النذارات عند العرب، وقد استعارها النبي ﷺ في خطابه لهم، فخطبهم بما يعرفونه من حالهم، ليبين لهم هول ما جاء به (١).

ذكر العذاب حتى يخاف العباد:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبادِ فَانقُوتِ﴾ [الزمر: ١٦].

قال ابن كثير: ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوِّف به عباده. قال: لينزجروا عن المحارم والمآثم، وقوله تعالى: ﴿يَعْبادِ فَانقُوتِ﴾ أي: اخشوا بأسني وسطوتي وعذابي ونقمتي (٢).

(١) فتح الباري (١١/٣١٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٦٣).

ذكر الآيات لتخويف العباد:

لقد بين سبحانه أن ما يرسله من الآيات لتصديق الأنبياء عليهم السلام إنما يرسله من أجل التخويف، فقال تعالى: ﴿وَأَنبَأْنَا ثَمُودَ أَن تَأْتِيَنَّهُ مَبِصْرَةٌ فَمُتَّعُوهُ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وكذلك الآيات الكونية فإنما يرهبها الله لعباده لأجل أن يخافوا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢].

وكذلك الخسوف والكسوف، هاتان الآيتان اللتان يرهبهما الله لعباده لأجل أن يتذكروا الآخرة ويخافوها؛ فإن الشمس والقمر سيذهب نورهما يوم القيامة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشمس والقمر مَكْرُورَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، والخسوف والكسوف يذكران بذلك فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ»^(٢).

(١) رواه البخاري (٣٢٠٠).

(٢) رواه البخاري (١٠٤٨) ومسلم (٩١٥).

ابتلاء الصحابة والمسلمين ليعلم الذي يخاف منهم:

لقد ابتلى الله الصحابة رضي الله عنهم بابتلاء عظيم ليظهر الذي يخاف من الذي لا يخاف، قال تعالى في شأن الصيد: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:

.[٩٤]

فهؤلاء الصحابة الذين كان كثيرٌ من طعامهم قائماً على الصيد، وكان الصيد من الرياضات المحببة إلى نفوسهم، يبتليهم الله بالصيد في هذا المقام العظيم؛ لأجل أن يعلم الذي يخافه من الذي لا يخافه، دلالة على عظم شأن الخوف عند الله.

ولقد نجح الصحابة في ذلك، وتبين أنهم يخافون الله في السر والعلانية، بعكس اليهود الذين حرّم الله عليهم الصيد يوم السبت فاستحلوا محارم الله بأدنى الحيل، ونصبوا الشباك يوم الجمعة وسحبوها يوم الأحد مليئة بالحيتان والأسماك، وقالوا: ما اصطدنا يوم السبت، فلم يخافوا الله فهلكوا، أما الصحابة فخافوا الله فنجوا.

وبعد أن عَلِمْنَا وجوب الخوف من الله وأهميته لا بد أن نتنبه لنقطة هامة، وهي أن الخوف من الله على مقامين:

المقام الأول: الخوف من عذاب الله.

المقام الثاني: الخوف من الله نفسه.

والمقام الأول هو الذي ينزع إليه عامة الناس، فهم يخافون من دخول النار، ويخافون من عذاب الله الدنيوي والأخروي، وقد لا يتنبهون إلى عظمة الله ولا يتنبهون إلى أهمية الخوف من ذاته ونفسه سبحانه.

فالعامّة لا يخافون إلا عند ذكر الإحراق، وذكر السلاسل، وأنواع العذاب... إلخ.

وأما أهل العلم والفقهاء العالمين بصفات الله وأسمائه وجلاله، فهم يخافون من الله أشد الخوف، لعلمهم بعظمته وجلاله ووسطوته وجبروته، ويقدمون خوف الله على خوف عذابه وعقابه، وترتعد فرائضهم عند ذكره سبحانه وتعالى.

قال ابن قدامة - رحمه الله - في مقامي الخوف:

(المقام الأول: الخوف من عذاب الله، وهذا خوف عامة

الناس، وهذا النوع من الخوف يحصل بالإيمان بالجنة والنار، وكونها جزاءين على الطاعة والمعصية.

وأما المقام الثاني: فهو الخوف من الله نفسه **عَلَيْكَ** وهو خوف العلماء والعارفين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ لأنه لما كملت معرفتهم برهيم وأسمائه وصفاته أثرت الخوف، ففاض الأثر على القلب، ثم ظهر على الجوارح بهذه الأعمال).

وليس المقصود التقليل من شأن عذاب الله وعقابه، وإنما المقصود بيان علو وفضل أحد المقامين على الآخر.

نسأل الله أن يحفظنا من عذابه، وأن يرزقنا الخوف من جنابه.

مراتب الخوف

ينقسم الخوف إلى أقسام وأنواع، بعضها محمود، وبعضها مذموم، بعضها مطلوب شرعاً، وبعضها منهي عنه في الشرع، وعلى المسلم أن يعرف أنواع الخوف حتى يعبد الله على بصيرة وعلم، بعيداً عن الضلال والجهل.

وأنواع الخوف هي:

أ- الخوف الواجب:

وهو الخوف الباعث على فعل الواجبات، وترك المحرمات، بأن يعلم المرء أنه إن ترك ما أمره الله به فإنه معاقب، وإن فعل شيئاً مما نهاه الله عنه فإنه محاسب.

فهذا الخوف واجبٌ على كل مسلم أن يتحلى به؛ ليدفعه إلى الوصول إلى الجنة والابتعاد عن النار.

ب- الخوف المستحب والمندوب:

وهو كل خوفٍ زائد عن القدر الواجب، ولم يصل إلى

القدر المنهي عنه، حيث يدفع المسلم لفعل المستحبات، والابتعاد عن المكروهات والشبهات.

وهو الخوف الذي دفع بالصالحين إلى قيام الأسحار، وصيام الهواجر، والتصدق بالأموال، والجهاد في سبيل الله، والتشمير في نوافل الطاعات، والكف عن دقائق المكروهات، وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي مبعثها الخوف من الرب الجبار.

وهاك شيئاً من الأحاديث التي تدل على خوف الصحابة من ربهم سبحانه وتعالى خوفاً زائداً عن حد الخوف الواجب؛ نذكرها هنا لعلهم يكونون قدوة لنا:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (قام فينا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه) ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقليل: يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد؟ ^(١)...

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فقام على المنبر فذكر الساعة،

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) واللفظ له، وصححه الألباني.

فذكر أن فيها أموراً عظيماً، ثم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا». فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول: «سَلُونِي». فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال: من أبي؟ - وكان ينسب لغير أبيه - قال: «أَبُوكَ حُدَافَةُ» - فصار إثبات نسبه بالوحي - ثم أكثر أن يقول: «سَلُونِي». فبرك عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً. فسكت. ثم قال: «عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَنْفَا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ، فَلَمْ أَرِ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ»^(١).

قال ابن حجر - رحمه الله -: (وإنما كان خوف المقربين أشد لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم، فيراعون تلك المنزلة، ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة)^(٢).

(١) رواه البخاري (٥٤٠) ومسلم (٢٣٥٩).

(٢) فتح الباري (٣١٣/١١).

ج. الخوف القاصر:

وهو ذلك الخوف الذي يقوم بالإنسان عند سماعه للموعظة، أو قراءة آية من كتاب الله، أو اطلاعه على حديث من أحاديث نبينا عليه الصلاة والسلام؛ ثم بعد ذلك لا يؤثر فيه التأثير المطلوب، ولا يأتي بالنتيجة المرجوة، فما إن تنتهي تلك الموعظة أو الصلاة حتى يرجع إلى ما كان عليه من الفساد وأعمال الشر، وكأنه لم يسمع شيئاً قبل قليل، ولم تذرف عيناه من خوف وهول العذاب الوبيل.

وفائدة الخوف إنما تحصل بحصول الثمرة، وهي الندم على ما فات، والإقلاع عن الذنب، ونحو ذلك من الفوائد. وصاحب هذا الخوف يُرْجى له الخير، ويحتاج إلى أن يعقد عزمه، وأن يخلص نيته؛ وسوف يترقى بعد ذلك إلى أنواع الخوف المعينة على الخير.

د. الخوف المحرم والمذموم:

هناك خوف لم يحمده الشرع ولا العقل، وهو الخوف الزائد عن الحد، والذي يؤدي إلى القعود عن العمل وترك الطاعات.

فبعض الناس من شدة الوعيد، ومن شدة خوفه من عذاب النار يصاب باليأس والإحباط، ويظن نفسه أنه لا ينجو من النار مهما عمل من الأعمال الصالحة، فيترك العمل لأجل ذلك؛ لأنه - كما يدعي - لا فائدة منه.

وهذا الخوف قد حرمه الشرع وذمه العلماء؛ لأنه يؤدي تقيض المطلوب من الخوف، فهو لا يوصل إلى الجنة، ولا يدفع صاحبه إلى فعل الخير؛ بل يقعه عن المطلوب ويهوي به في نيران الجحيم.

ثمرات الخوف من الله

لكل عبادة فرضها الله ثمراتها الدنيوية والأخروية، والخوف عبادة من هذه العبادات التي لها ثمراتٌ متعددة، ولا شك أن من اطلع على ثمرة الشيء وفائدته كان أكثر رغبة فيه، فمن فوائد الخوف من الله سبحانه وتعالى:

١- ثمرات عاجلة:

دفع العبد إلى الإخلاص:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنْعَمُكَرُ لَوْجِهَ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكُفِّرُكُمْ ﴾ [الإنسان: ٩-١٠].

ففي هذه الآية أنهم ما أطعموا ليحصلوا على جزاء دنيوي، وما فعلوا العمل الصالح لينالوا الثناء والشكر من الناس، وإنما قاموا بذلك خوفاً من الله سبحانه وتعالى، وخوفاً من اليوم العبوس الشديد الهول العظيم الأمر.

دفع العبد إلى القيام بالأعمال الصالحة:

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

فهذه الأعمال الصالحة من ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والتسبيح وغير ذلك إنما كان دافعها الخوف من يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(١).

أدلاج: أي سار من أول الليل، كناية عن الاجتهاد في السير^(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٠)، وصححه الحاكم في المستدرک ووافقه الذهبي.

(٢) فيض القدير (٦/١٢٣).

ومعنى الحديث: أن من خاف من الله سبحانه وتعالى ومن عذابه اجتهد في الأعمال الصالحة، ومن اجتهد في الأعمال الصالحة بلغ المنزل الذي هو الجنة.

تكدير السيئات وعدم التلذذ بها:

قال ابن قدامة -رحمه الله-: (ومن ثمرات الخوف أنه يجمع الشهوات ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة مكدره)^(١).

وليس المقصود تكدير اللذات المباحة، فالرسول ﷺ - وهو سيد الخائفين - استمتع بمباحات الدنيا بقدر، قال ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ»^(٢).

بل المقصود تكدير اللذات المحرمة.

وكيف تتكدر اللذات المحرمة؟

تتكدر بتذكر عذاب الله ووعيده لمن وقع فيها، فهذا الزاني

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/٦٣).

(٢) رواه النسائي (٣٩٣٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وتلك الزانية لو تذكرنا وعيد الله تعالى للزناة في الآخرة وعذابه، وهذا القبيح والصيد الذي يسيل منهم، وشرب الزناة من القبيح والصيد، بل لو تذكرنا فقط ما ينتظرهم في القبر من عذاب البرزخ لتكدرت تلك اللذة المحرمة، ولنغصت عليهم تلك الفاحشة الرذيلة.

وشارب الخمر: لو تذكر أنه سيحرم من خمر الجنة لتكدر عليه شربه.

ثم قال ابن قدامة - رحمه الله -: (كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيهِ إذا علم أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعبَ الهَمِّ لخوفه، والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والفضيلة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذه النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله كحال من وقع في مخالِبِ سَبْعِ ضَارٍ، لا يدري أيغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلكه؟ ولا شغل له إلا ما وقع فيه.

فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف

بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال^(١).

حصول الثناء من الله تعالى:

لقد أثنى الله على أقرب عباده وهم الأنبياء، لخوفهم منه:
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا
وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

كما أنه تعالى أثنى على عباده المؤمنين بوصفهم بالخوف من عذابه، فقال ﴿عَجَلٌ﴾: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿ [المعارج: ٢٧-٢٨].

وقال ﴿عَجَلٌ﴾: ﴿أَمَنْ هُوَ فَنِتْءَانَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وقد أثنى الله على أولي الألباب ووصفهم بأنهم من أصحاب الخوف، فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْمَعْقُومَ كَمَنْ

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/٦٣).

هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
 الْعَيْثُقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿الرعد: ١٩-٢١﴾ فالخوف من الله
 يدل على أن صاحبه صاحب عقل، وعلى أنه من أولي الأبواب،
 فهو راجح العقل يعرف الشيء الذي يخوف حقاً، ويفهم
 الأسباب الداعية للخوف جيداً.

التمكين في الأرض:

قال **عَنْكَ**: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلِ هُمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ
 مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ
 لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿إبراهيم: ١٣-١٤﴾.

فالخوف من الله يؤدي إلى التمكين في الأرض، والانتصار
 على الأعداء، ووراثه أرضهم وديارهم.

النجاة من كل سوء:

عن أنس بن مالك **رضي الله عنه** قال: قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ:
 خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ،

وَالْقَصْدُ فِي الْعَدْلِ وَالْفَقْرِ^(١)، فهذه الخشية هي التي تحفظ العبد وتنجيهِ من كل سوء، والنجاة المذكورة في الحديث عامة؛ فتشمل النجاة في الدنيا والآخرة.

بد ثمرات آجلة:

الاستئلال بظل العرش يوم القيامة:

ودليله حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: «وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(٢)، فكان خوفه من الله المانع له من ارتكاب الفاحشة سبباً لكي يكون في ظل العرش يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق قدر ميل، فيغرق الناس في العرق!

وقوله لها: «إني أخاف الله» ظاهر الحديث أنه يقو لها بلسانه ليزجر المرأة عن فعلها، وليذكر نفسه ويصر على موقفه، ولا يتراجع بعد إعلان المبادئ.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٥٢)، وحسنه الألباني .

(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

وكذلك من هؤلاء السبعة: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»، فهذه الخشية التي سببت انهار الدمع كانت سبباً في الاستظلال بظل العرش يوم القيامة.

رفع الخوف يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله يروي عن ربه جل وعلا قال: «وَعَزَّتِي، لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ؛ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

النجاة من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله يقول: «عَيْنَانِ لَا تَمْسَهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

(١) صحيح ابن حبان (٦٤٠)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه الترمذي (١٦٣٣) وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي (١٦٣٩)، وصححه الألباني.

الحصول على المغفرة والرحمة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ - أَي: رزقه - اللهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حَضَرَ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرَقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ عجل فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»^(١).

نيل رضا الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾
[البينة: ٨]. فدللت الآية على أن رضا الله عجل إنما ناله هؤلاء المذكورون بسبب خشيتهم من ربهم.

دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦].

(١) رواه البخاري (٣٤٧٨).

قال ابن قدامة-رحمه الله-: (فضيلة كل شيء بقدر إعانتة على طلب السعادة، وهي لقاء الله تعالى والقرب منه، فكل ما أعان على ذلك فهو فضيلة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(١).

قرة العين والنعيم في الجنة:

قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤/ ٦٥).

الأسباب الجالبة للخوف

قد يقول قائل: لقد علمنا منزلة الخوف من الشريعة الإسلامية.

وعلمنا الثمرات الدنيوية والأخروية التي تحصل لمن تحقق فيه الخوف.

ولكن: كيف ندخل ضمن هؤلاء الركب، فنخاف من الله ونخشاه حق خشيته؟.

فنقول: إن هناك أسبابا تجلب الخوف وتعين على حصوله، نذكر منها:

تذكر جلال الله وعظمته:

إن من أعظم الأسباب المعينة على خوف الله تعالى تذكر جلاله وعظمته، وأنه سبحانه عزيز جبار متكبر قاهر لا يعجزه شيء في السموات والأرض، وأنه ما منع السماوات أن تسقط على الأرض إلا إمساك الله لها، ولو شاء لأهلك من في السموات والأرض في طرفة عين.

فإنه من تفكر في ذلك خاف الله لا محالة؛ لأن التفكير يوقعه على صفات الله جل جلاله وكبريائه، ومن شهد قلبه عظمة الله وكبريائه علم شأن تحذيره - جل وعلا - عندما قال: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى في شأن عظمته: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر، ثم قال: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ» فرجف برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم المنبر حتى قلنا: ليخرن به! ^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر يقول: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَائِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ - وَقَبْضَ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ -: أَنَا الْجَبَّارُ،

(١) رواه أحمد (٥٤١٤)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» ويتميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟! (١).

وعن أبي ذر رضي عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلَقَةِ» (٢).

وهؤلاء الملائكة الذين هم من أعلم المخلوقات بالله يخافون الله أشد الخوف؛ لمعرفة جلاله وعظمته، فهم إذا سمعوا صوته غشيهم من الفزع ما غشيهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣].

فإذا عرف الإنسان عظمة الرب عجل جلب له ذلك الخوف منه.

(١) رواه ابن ماجة (١٩٨)، وصححه الألباني .

(٢) صحيح ابن حبان (٣٦١)، وصححه الألباني .

تدبير كلام الله ﷺ:

قال ابن القيم - رحمه الله -: (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آيات الكتاب العزيز، فلا تزال معانيه تُنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الويل، وتحثه على التضرُّم والتخفف للقاء اليوم الثقيل)^(١).

ويقول ابن الجوزي - رحمه الله -: (والله لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، وآية الكرسي، وسورة الإخلاص؛ بتفكر وتدبر لتصدّع من خشية الله قلبه، وتحير من عظمة الله لُبّه)^(٢).

تدبير كلام المصطفى ﷺ وسيرته:

لأنه سيد المتقين، وإمام الخائفين، وأشد الناس خشية لرب العالمين.

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢-٤٥٣).

(٢) التذكرة في الوعظ (٧٣-٧٤).

عدم التقصير في الواجبات:

كالصلاة، والصيام، والحج .. إلخ؛ فإن هذه الأعمال تجعل العبد قريباً من الله سبحانه ، وقربه من ربه سيجعله - ولا شك - خائفاً منه، ورجلاً من عقابه.

الخشية من عدم قبول العمل:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]. فكم واحدٍ منا من المتقين كي يُقبل عمله؟.

تذكر الذنوب السابقة:

إن تذكر الذنوب التي وقع فيها الإنسان في الأوقات الفائتة لهي من أشد المعينات على خوف الله تعالى؛ فإن العبد يعلم يقيناً أنه قد قام بهذه المعاصي، ولا يعلم هل سيغفر الله له ذنوبه؟ أم أنه سيعاقبه عليها؟.

التفكير في المصير:

سيأتي يومٌ علينا معشر المسلمين تُقبض فيه أرواحنا، ويذهب بنا إلى حفرة ضيقة مظلمة، ونترك وحدنا ليس معنا

أيس ولا جليس، ثم نُسأل عن أعمالنا في هذه الحياة، ونمكث إما في حفرة من حفر النيران -نعوذ بالله منها-، وإما في روضة من رياض الجنان - نسأل الله من فضله -، ثم بعد ذلك نخرج ونُحشر، ونقف في يوم شديد الحر شديد الزحام، ثم بعد ذلك نمر على الصراط، ويؤمر بنا إما إلى جنة وإما إلى نار.

إن التفكير في مصير البشر هو طريقٌ لحصول الخوف من عذاب الله.

التفكير في الموت:

إن من الأسباب الجالبة للخوف: التفكير في الموت وشدته، وأنه لا مفر منه، وأن الموعد مع الموت آتٍ ولا بد ولا ريب فيه، إما في ليل أو نهار، أو في صيفٍ أو شتاء، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ أَلْمُوتَ الَّتِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ [الجمعة: ٨]، وأن الإنسان إذا فر من شيء فإنما يفر من شيء وراءه، ولكن الموت الذي يفر منه أمامه!!.

فتذكر الموت يوجب الخوف من الله، وقد قال رسول الله

ﷺ: « أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ - الموت - فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ

أَحَدٌ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ»^(١).

قال أبو العتاهية:

أَلَا رَبِّ ذِي أَجَلٍ قَدْ حَضَرَ
إِذَا هَزَّ فِي الْمَشِيِّ أَعْطَاهُ
يَوْمًا لَأَكْثَرَ مِنْ عُمْرِهِ
كَثِيرُ التَّمَنِّي قَلِيلُ الْحَذَرِ
تَعَرَّفَتْ مِنْ مَنِكِيهِهِ الْبَطْرُ
وَيَزْدَادُ يَوْمًا بِيَوْمٍ أَشْرُ

التفكير في القبر وأحواله:

قال صلى الله عليه وسلم: «كُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَرُّوْهَا؛ فَإِنَّهَا تُرْقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتَذَكِّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»^(٢).

وعن البراء رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بلَّ الثرى، ثم قال: «يَا إِخْوَانِي! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»^(٣).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٥٤): رواه الطبراني والبخاري وإسنادهما حسن.

(٢) رواه الحاكم (١٣٩٣)، وصححه الألباني.

(٣) رواه ابن ماجه (٤١٩٥)، وحسنه الألباني.

التفكر في القيامة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَنْفُورًا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

التفكر في النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾ [المدثر: ٣٥] فهي أعظم إنذار، كبرت منذرة داهية عظيمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا»^(١).

وقال الحسن: (ما أنذرت الخلائق بشيء قط أقطع منها).

فعلى المرء أن يتفكر إذا دخل أهل النار النار، ماذا يوجد فيها من الأهوال من شدة عذابها وخطر شأنها؟! وماذا أعدده الله فيها للمشركين والعصاة?!.

(١) رواه الترمذي (٢٦٠١)، وحسنه الألباني.

فتفكر في ما في النار من الأهوال وكرر ذلك على ذهنك،
واستحضره في قلبه؛ وستجد الخوف قد دخل قلبك.

أنشد بعضهم:

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
أَوْ اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتَ يُنْذِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
أَفِي الْجِنَانِ وَفَوْزٌ لَا أَنْقِطَاعَ لَهُ
أَمْ الْجَحِيمُ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدَعُ
لِيَنْفَعَ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ
قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرَّجْعَى فَمَا رَجَعُوا^(١)

التأمل في صفات الناجين:

إن الإنسان إذا عرف مصيره؛ عليه أن يبحث عن صفات
الناجين، ويقارن أفعاله بأفعالهم، وصفاته بصفاتهم.

فيجد أن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]. فعلق المغفرة بأربعة
شروط: التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، والاهتداء.

وفي سورة العصر أقسم الله تعالى أن الناس في خسران
مبين، واستثنى نوعاً من الناس: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣].
فذكر الله للنجاة من الخسران أربعة شروط: الإيمان، وعمل
الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

فمتى ما تأمل الإنسان في صفات الناجين وقارنها بأفعالها
سيجد التقصير في أعماله، مما يرقق قلبه، ويشعره بالخوف من
عدم الالتحاق بركب النجاة.

استشعار أن النار ستمتلي بالناس والجن:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَٰكِن
حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾
[السجدة: ١٣].

فهل يا ترى نكون من الناجين؟ أم نكون ممن حقت عليهم
كلمة رب العالمين؟.

كما أنه تعالى أقسم أنه سيملاً جهنم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].
وبهذه الآية ينخلع قلب المسلم، ولا بُدَّ أن يجد الخوف طريقه إلى قلبه إذا تأمل فيها.

كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أُمِّي لم تلدني. ثم يبكي، فقيل: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟. فقال: أخبرنا أنا واردوها، ولم نُخَبَّرْ أنا صادرون عنها^(١).

التفكر في عاقبة محقرات الذنوب التي يحتقرها الناس:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَاِدٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تَهْلِكُ»^(٢)، فهناك ارتباط بين الأعداء وإيقاد النار وبين الذنوب وما تسبب من نضج جلود العصاة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

(١) تفسير الطبري (٨ / ٣٦٤).

(٢) رواه أحمد (٢٢٨٦٠)، وصححه الألباني.

العلم بأنه قد يُحال بينه وبين التوبة:

إن الإنسان إذا أقبل عليه ملك الموت يريد نزع روحه تمنى لو بقي في هذه الحياة ليعمرها بالصالحات، ويترك الشهوات والمحرمات، ولكن هيهات هيهات. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وكما يحال بين الإنسان والتوبة بالموت، فيحال بينه وبينها بأشياء أخرى، كالفتن المضلة التي تجعله يذهل عما حوله، وكالتسويق، والشبهات، والإصرار على المعصية والشهوات، فإذا مات تحسر حين لا تنفع الحسرة: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

التفكر في سوء الخاتمة:

لقد كان السلف يخافون من سوء الخاتمة، وكان الرجل منهم مهما بلغ من الصلاح والتقى يخشى أن يتحول ذلك في آخر حياته إلى فساد وفجور وكفر.

وهذا إمامهم عليه السلام مع شأنه ودرجته كان أكثر دعائه: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١).

ولو تفكرنا في حال من خَئِمَ له بسوء لرأينا هولاً وعجباً، ولتقطعت قلوبنا خشية وفرقاً، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

مجالسة الصالحين والعلماء المتقين:

ومن الأمور المهمة لمن أراد أن يخاف ربه: مجالسة أناس يكسبونه خشية وخوفاً من الله، وهم الصالحون والعلماء المتقون، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

صاحب أصحاب الخشية، وأصحاب القلوب الرقيقة الذين إذا سمعوا الذكر تلين قلوبهم وجلودهم لذكر الله، وعن هؤلاء فابحث.

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

قراءة سير الخائفين:

إذا عدت الصالحين من حولك، فاقراً سير الخائفين من الله تعالى، واصحب أنفاسهم.

أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمْ أَهْلُ الرَّسُولِ وَإِنْ
لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسُهُ صَحِبُوا

- يقول علي رضي الله عنه: (لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا يصبحون شعثاً غرباً صفرأً بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكّر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح، فانهملت أعينهم حتى تبل - والله - ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين) ^(١).
- وأبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد) ^(٢).
- وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (يا ليتني كنت هذه التينة،

(١) حلية الأولياء (١/٧٦).

(٢) رواه البزار (٨٤).

ليتني لم أخلق، ليت أُمي لم تلدني، ليتني لم أك شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً^(١).

- ويقول رضي الله عنه: (لو مات جمل ضياعاً على جانب الفرات لخشيت أن يسألني عنه الله يوم القيامة)^(٢).

- ويقول أيضاً رضي الله عنه: (لو نادى منادٍ من السماء يا أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا واحداً لخفت أن أكون أنا هو!!)^(٣).

- وعثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: (وددت لو أنني لو مت لم أبعث)^(٤)، وهو الذي كان يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً، وتخرق مصحفه من كثرة ما قرأ فيه، ومات شهيداً ودمه على المصحف.

- وابن عباس رضي الله عنهما كان تحت عينيه خطان كالشراكين الباليين من الدمع^(٥).

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٦٠).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥).

(٣) حلية الأولياء (١/٥٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٣٩).

(٥) المدهش (٤٣٥).

- وعائشة رضي الله عنها تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴾ [الطور: ٢٧] في صلاتها فتبكي وتُبكي، وتقول رضي الله عنها: (يا ليتني كنت نسياً منسياً) ^(١).
- وأبو عبيدة رضي الله عنه يقول: (وددت لو كنت كبشاً فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا - أي شربوا - مرقبي) ^(٢).
- وعمران بن حصين رضي الله عنه يقول: (يا ليتني كنت رماداً تذروه الرياح) ^(٣).
- وحذيفة رضي الله عنه يقول: (وددت أن لي إنساناً يكون في مالي، ثم أغلق علي بابي فلا يدخل علي أحد حتى ألحق بالله) ^(٤).
- وأبو هريرة رضي الله عنه يغشى عليه ثلاث مرات وهو يحدث بحديث أول ثلاثة تسعّر بهم النار ^(٥).
- وعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - تسأله زوجته شيئاً فيقول

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠٦١٦).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤١) وابن سعد في الطبقات (٤١٣/٣).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤١).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٣٩/٧).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٨٢).

بصوت حزين: (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فتبكي فاطمة وتقول: (اللهم أعذه من النار)^(١).

فلا يعدم المسلم أن يسمع عن هؤلاء، ويقرأ عن هؤلاء الصالحين من الخائفين ممن مضى!.

والنبي ﷺ قال: «أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله ﷻ»^(٢).

سماغ المواعظ والخطب:

لقد رزق الله بعض الدعاة والخطباء قدرة على التأثير في نفوس الناس، وكلمة سهلة سلسلة تصل إلى قلب المستمع فتؤثر فيه، ومثل هؤلاء حريٌّ بمن أراد ترقيق قلبه وزرع الخشية من الله فيه أن يستمع لهم، وأن يجالسهم بين الحين والآخر.

الدعاء:

الدعاء من أهم الأسباب المحصلة لذلك، فعلى المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الخوف منه.

(١) تاريخ دمشق (٧٠/٣٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٨/٢٦٤)، وصححه الألباني.

عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول: «رَبِّ
 أَعْنِي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ
 عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ
 اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَاعًا، لَكَ
 مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوَاهًا مُنِيًّا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ
 دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَأَسْأَلُ
 سَخِيمَةَ صَدْرِي»^(١).

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بقوله: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا
 يُجُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ»^(٢).

وبقوله: «اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»^(٣).

الابتعاد عن موانع الخوف:

فإن للخوف موانع تمنعه، كالمعاصي، وحب الدنيا وزخرفها،
 والرفقة السيئة، والغفلة، وتبليد الإحساس.

(١) رواه الترمذي (٣٥٥١)، وصححه الحاكم .

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني .

(٣) رواه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني .

الخاتمة

الخوف إذا باشر قلب العبد فاض أثره على الجوارح وظهر، وانتهى عما نهى الله عنه واعتصم بما به أمر، ودعوى الخوف من غير ذلك دعوى كاذبة لا حقيقة لها، على المسلم أن يراجع نفسه فيها حتى يستقيم لأمر الله.

قال ابن شبرمة -رحمه الله-: (عجبت لهم كيف يحتمون من الطعام مخافة الداء، ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار!!)^(١).

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (كل عاصٍ لله فهو جاهل، وكل خائف منه فهو عالم مطيع)^(٢).

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يخشونه في الغيب والشهادة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محرم صالح المنجد

(١) تهذيب الكمال (١٥/ ٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢-٢٣).

اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة إجاباتها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.
وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة)

- ١- من هم المرادون في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾؟
- ٢- لماذا نخاف من الله؟ (ما الحكمة من خوف القلوب)؟.
- ٣- ما معنى قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؟.
- ٤- ما الفرق بين الخوف والخشية؟.
- ٥- ما معنى قوله ﷺ: «إني أنا النذير العريان»؟.
- ٦- ما هي مقامات الخوف؟
- ٧- اذكر قصتين تدلان على الفرق بين خوف الصحابة من الله، وخوف اليهود منه.

- ٨- لماذا كان خوف المقربين أشد من خوف غيرهم؟.
- ٩- لماذا خوف الملائكة أشد من خوف الناس على وجه العموم؟.
- ١٠- إذا حدثتكَ نفسك بالمعصية، فحاول أن تكدر عليها حتى تتركها، فكيف يكون هذا التكدير؟.

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية)

- ١- (من خاف اليوم أمن غداً، ومن أمن اليوم خاف غداً) ما معنى العبارة؟.
- ٢- كيف يؤدي الخوف من الله إلى التمكين في الأرض؟
- ٣- اذكر بعض الأسباب التي تعين على الخوف من الله، غير ما ذكر في هذا الكتيب.
- ٤- ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ لقد تمنى بعض السلف أن يتقبل الله منه ركعتين فقط ويموت بعدها، مستدلاً بهذه الآية على معنى بينه، فما هو هذا المعنى، ومن قائل هذا؟.

- ٥- (تصحيح أعمال القلوب هو الأصل، وتصحيح أعمال الجوارح تابعٌ لذلك الأصل) اشرح هذه العبارة.
- ٦- هلا ذكرت قصة من قصص خوف بعض الصالحين في هذا العصر.
- ٧- لماذا كانت مجالسة الصالحين تكسب الخشية من الله؟.
- ٨- كيف يعالج صاحب الخوف القاصر نفسه؟.
- ٩- (الخشية: خوف يشوبه تعظيم) اشرح هذه العبارة.
- ١٠- ما حكم الخوف من الأسد والذئب ونحو ذلك؟.

المحتويات

٥	مقدمة
٧	أهمية الموضوع
١١	تعريف الخوف
١٣	معاني الخوف في القرآن
١٦	الفرق بين الخوف والخشية
١٨	وجوب الخوف
٢٧	مراتب الخوف
٣٢	ثمرات الخوف من الله
٣٢	ثمرات عاجلة
٣٨	ثمرات آجلة
٤٢	الأسباب الجالبة للخوف
٦٠	الخاتمة
٦١	اختبر فهمك
٦٤	المحتويات